المحاضرة رقم:08 في النّقد الأسلوبيّ

محدّدات الأسلوب

03/الانزياح.

****تمهيد:***

اهتّمت الدّراسات الأسلوبيّة بظاهرة الانزياح باعتباره قضّية أساسيّة في تشكيل جماليّات النّصوص الأدبيّة، والانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغويّ يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرّف على طبيعة الأسلوب الأدبيّ، بل ويمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبيّ ذاته، وقد قسّم الأسلوبيّون اللّغة إلى مستويين: 01/المستوى العاديّ: ويتجلّى في هيمنة الوظيفة الإبلاغيّة على أساليب الخطاب. 02/المستوى الإبداعيّ: وهو الّذي يخترق الاستعمال المألوف للّغة، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة، ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبيّة وجماليّة تحدث تأثيرا خاصا في المتلقّي[1].

**** 01/ تعريف:***

إنّ تعريف الأسلوب على أنّ انزياح وخروج عن المعيار"مذهب بحثّي أسلوبيّ، ركيزته الأسلوب الأدبيّ"، فتعدّ اللّغة العاديّة الحالات الّتي تخرج على المعيار أخطاء غير مقبولة، وتعدّها اللّغة الشّعرية شوذات يمكن استعمالها، وتذهب أبعد من هذا، فترى أنّ الجودة الشّعرية لأيّ عمل لغويّ معتمدة على هذه الحالات[2].

**** 02/الاختلاف في المصطلح:***

يطالعنا الأسلوبيّون بتسميّات مختلفة، ومصطلحات متعدّدة للانزياح، وهذا الاختلاف ناتج عن الاختلاف في مفهوم المصطلح نفسه، فهو الانزياح أو التّجاوز عند فاليري(Vlery)، والانحراف عند سبيتزر، والانتهاك عند كوهن (Cohen)، واللّحن أو خرق السنن عند تودوروف، والعصيان عند أراغون

---

[1] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربيّ الحديث، تحليل الخطاب الشّعري والسّردي، دار هومه، الجزائر، ج01، 2010، ص198.

[2] فيلي ساندريس: نحو نظريّة أسلوبيّة لسانيّة، تر: خالد محمود جمعة، سوريا، ط2003،01، ص58.

(Aragon)، والتّحريف عند جماعة مو، والشّناعة عند بارت والمخالفة عند ثيري (Thiry)، والاختلال عند وارين ووليك، والإطاحة عند باتيار (Paytard)، وخيبة الانتظار عند رومان جاك أوبسون[1].

***03/ أنواع الانحرافات:**

يمكن أن تتنوّع الانحرافات بالنّظر إلى صلتها بنظام القواعد الموجود في المعيار اللّغوي إلى انحرافات سلبيّة وأخرى إيجابيّة، ولا ترى الانحرافات السّلبية على أنّها تقييد أو تضييق للمعيار، أمّا الانحرافات الإيجابيّة فإنّها تقدّم بصفتها الإيجابيّة قواعد إضافيّة لتقييد المعيار وتحديده، وتنشأ في الحالة الثّانية بقيود النّص كالقافيّة مثلا[2].

***04/ المعياريّة والإحصاء:**

يمكن للدّارس –دون تناول وجهة النّظر المعياريّة–أن يحدّد المعيار بناء على الاستعمال الشّائع من خلال الوسائل الإحصائيّة فقط؛ فالمعيار في هذه الحالة إنّما هو المتوسّط الإحصائيّ لكلّ الوسائل اللّغوية لمجموع النّصوص الموجودة، والأسلوب حينئذ انحراف بعض الصّيغ اللّغوية في النّص –مجال البحث– عن المتوسّط الإحصائيّ، هكذا يمكن أن تكون آليات الإحصاء مساعدا هاما في التّحليل الأسلوبيّ[3].

***05/شروط الانزياح:**

لا يمكن اعتبار كلّ انزياح ظاهرة أسلوبيّة هامّة، وإنّما لابدّ من توافر شرط انتظام الانزياحات في علاقاتها بالسّياق العام للخطاب، الأسلوب مفارقة أو انحراف بل انزياح عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنّه نمط معياريّ وموقع المقارنة بين النّص المفارق والنّص النّمط هو تماثل السّياق في كلّ منهما وإن أداة التّحليل الأسلوبيّ في منظور من يعدّ الأسلوب انزياحا هي المقارنة بين الخصائص والسّمات اللّغوية في النّص النّمط وما يرتبط بسياقها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النّص المفارق وشبيه بذلك ما يزخر به التّراث العربيّ من موازنات بين الشّعراء تقتضي بالضّرورة التّمييز بين الأساليب[4].

---

[1] يوسف أبو العدوس: الأسلوبيّة الرّؤية والتّطبيق، ص181.
[2] برند شبلنر: علم اللّغة والدّراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللّغة النّصي، تر: محمود جاد الرّب، الدار الفنيّة للنّشر والتّوزيع، مصر، ط01، 1987، ص62.
[3] المرجع نفسه، ص70.
[4] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، ص205.

***06/شعريّة الانزياح عند جون كوهين:**

أخذ كوهين مفهومي المعيار والانزياح من الأسلوبيّة وبخاصّة من ليوسبيتزر الّذي يرى أنّ "الأسلوب انزياح فردي بالقياس إلى القاعدة" بينما "كوهين" أخذ هذا المفهوم وطوّره وكان يرى أنّه "في لغة جميع الشّعراء يوجد عنصر ثابت على الرّغم من الاختلافات أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار". وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الشّعر بأنّه نوع من اللّغة وتعريف الشّعرية باعتبارها أسلوبيّة النّوع، إنّها تطرح وجود لغة شعريّة..."تعتبرها واقعة أسلوبيّة لأنّ الشّاعر لا يتحدّث كما يتحدّث النّاس جميعا، بل إنّ لغته شاذّة وهذا الشّذوذ هو الّذي يكسبها أسلوبا"[1].

يشير "كوهين" إلى اللّغة المستعملة والعاديّة ويعتبر النّثر "هو بالتّحديد اللّغة الطّبيعية، أمّا للشّعر فلغة الفنّ أي لغة مصنوعة... وكون النّثر هو اللّغة الشّائعة يمكن أن نتحدّث عن معيار نعتبره القصيدة انزياحا عنه". فالمعيار عند "كوهين" نجده عند الكاتب الّذي هو أقلّ اهتماما بالأغراض الجماليّة. وإن وجد الانزياح في لغته فهو قليل جدّا ... ويمكن أن نشخّص الأسلوب بخطّ مستقيم يمثّل طرفاه قطبين؛ القطب النّثري الخالي من الانزياح والقطب الشّعري الّذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة، ويتوزّع بينهما مختلف أنماط اللّغة المستعملة فعليا، وتقع القصيدة قرب الطّرف الأقصى، كما تقع لغة العلماء بدون شكّ قرب القطب الآخر، وليس الانزياح فيها منعدما ولكنّه يدنو من الصّفر[2].

***07/الفرق بين الاختيار والانزياح:**

-الاختيار يوجد في اللّغة العاديّة كما يوجد في اللّغة الفنيّة، أمّا الانحراف يخصّ اللّغة الفنيّة، وهذا منطقيّ إلى حدّ بعيد؛ فالخروج عن الطّرق المتعارف عليها اجتماعيا معيب، ولكّنه مقبول إذا كان له غرض فنّي، ولذلك لا يقدم عليه إلاّ أديب متمكّن، كما كان القدماء يقولون: "إنّ العربيّ الفصيح إذا قوى طبعه لم يبال أن يقع الشّذوذ في شيء من كلامه"[3].

-الاختيار محدود بالإمكانيات المتعارفة للّغة، والّتي تصنّف عند النّحويين تحت أسماء "المطرد"، "الغالب"، "الكثير"، في حين أنّ الانحراف يبتعد عن طرق التّعبير الشّائعة، وربّما اقترب من "القليل" وحتّى "الشّاذ".

---

[1] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، ص209.
[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
[3] ابن جنّي: ج02، ص392.

–فرق ثالث بين الاختيار والانحراف، وهو أنّ الاختيار مرتبط بالقائل أو المبدع، وقلّما يشعر به المتلّقي، إلاّ أنّه يرتاح له، فإذا أراد أن يعيد الكلام أو يأتي بمثله لم تسعفه قريحته، ولهذا سميّ الكلام الّذي غلبت عليه خاصيّة الاختيار "السّهل الممتنع"، والانحراف على العكس، فقد يصدر عن المبدع بصورة عفويّة إذا انطلق في التّعبير، ولكن المتلقّي يشعر به شعورا قويّا في جميع الأحوال[1].

8/ إشكالية تحديد الأسلوب/الانحراف:

التّحديد الإجرائيّ للأسلوب بأنّه انحراف عن قاعدة ما تنجر عنهّ بعض الإشكالات نذكر أبرزها:

–أ/ يترتّب على هذه النظريّة وجود نصوص بلا أسلوب؛ وهي تلك النّصوص الّتي لا تنحرف عن قاعدة ما.

–ب/ يصعب تحديد كلّ من القاعدة والانحراف بالدّقة العلميّة المنشودة.

–ج/ يتّم التّعرف على الأسلوب هكذا بشكل سالب بحت؛ دون أن تتبع ذلك خواص نوعيّة توضيحيّة له.

–د/ لا تتطابق الانحرافات مع الخّواص الأسلوبيّة في مقدارهما، ولا تغطّي إحداهما الأخرى: فهناك انحرافات لا يترتّب عليها تأثير أسلوبيّ مثل جميع الأخطاء اللّغوية والجمل غير المكتملة، كما أنّ هناك عناصر لغويّة ذات أهميّة أسلوبيّة دون أن تكون خروجا على القواعد المعتدّ بها.

–هـ/ كما يؤخذ على هذه النظريّة أنّها تغفل في دراستها لعمليّة التّواصل الأدبيّ كلاّ من المؤلّف والقارئ وتركّز على علاقة الظّاهرة اللّغوية في النّص بالقاعدة المنشقّة عليها.

–و/ ربّما كانت هذه النظريّة قابلة للتّطبيق في الأدب على الأسلوب ذي الطّابع الشّخصي البارز، شديد التّمثيل لمزاج خاص في بعض التّجارب الشّعرية المتميّزة، لكّنها فيما يبدو لا تصلح للتّطبيق على مؤلّفين يكتبون بأسلوب عادي.

–ز/ ولعلّ أخطر ما يترتّب على تطبيق هذه النظريّة في تفسير النّصوص الأدبيّة هو الاعتداد بالملامح الأسلوبيّة القليلة المميّزة غير المستعملة عادة، وإهمال بقيّة ملامح النّص الدّالة وبنيته الأساسيّة[2].

---

[1] شكري محمّد عيّاد: اللّغة والإبداع، ص78.

[2] صلاح فضل: الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ط01، 1998،ص216.